الفصل الثالث
رؤية السلطان محمد وحيد الدين لأتاتورك

الفصل الثالث
رؤية السلطان محمد وحيد الدين
لأتاتورك

بداية اللقاء بين وحيد الدين ومصطفى كمال أتاتورك

في سبتمبر عام1917، في العام الثالث للحرب العالمية الأولى، جاء الإمبراطور ويليام الثاني إلى استانبول لزيارة حليفه السلطان محمد رشاد. في تلك الزيارة منحه السطان رتبة مشير الجيش العثماني، والزي والسيف الخاص بتلك الرتبة، والوسام الفخري المزود بالسيف. تعرف وحيد الدين على الإمبراطور خلال زيارته الأخيرة، حيث كان وليا للعهد. وكانت هذه الزيارة هي الزيارة الثالثة التي قام بها الإمبراطور الألماني لاستانبول، إذ قام بزيارة استانبول مرتين في عهد السلطان عبد الحميد الثاني.

وكان لابد أن يرد السلطان محمد رشاد علي هذه الزيارة، ولكن لأنه كان مريضاً، ولا يستطيع أن يؤديها؛ أوكل إلى ولي العهد محمد وحيد الدين، أن يقوم هو بالزيارة موفداً من قبله، ليقدم للإمبراطور سيفاً هدية منه، ولمشاهدة الجبهة الألمانية في برلين. وتقرر أن يصحبه في هذه الزيارة مصطفى كمال باشا، ولطفي سيماوي، باش مابين السلطان محمد رشاد (أي رئيس ديوان القصر السلطاني)، وناجي (ال دنيز) باش ياوره، ورفيق بك وهو أحد أقربائه، ورشاد بك طبيبه الخاص.

تعرف وحيد الدين بمصطفى كمال باشا قبيل سفره إلى ألمانيا، وكان مصطفى كمال في تلك الأثناء عائداً من الجبهة الفلسطينية[146].

كان مصطفى كمال يتمتع بشهرة كبيرة عقب الحرب العالمية الأولى، باعتباره قائداً عسكرياً قديراً، وبطل معركة "چناق قلعة"[147]. وكان موضع إعجاب وحيد الدين الذي كان حينئذ ولياً للعهد[148].

---

[146]- İsmail hakki okday, "Yanya'dan ankara'ya", a.g.e. s.328,329

[147] - چناق قلعة: أي القلعة السلطانية أو قلعة الدردنيل. اهتم السلطان عبد الحميد الثاني بتقويتها في سنوات حكمه لأنه كان يعرف إنها مفتاح الأمان لحماية استانبول، وتقويتها يساعد على صد أي اعتداء يقع على الدولة العثمانية، ويستهدف العاصمة استانبول. وفي معركة چناق قلعة، وصل أسطول أقوى دولتين بحريتين في العالم في ذلك الوقت، واستطاع مصطفى كمال أن يستفيد من تحصين القلعة، ويصد قوات الحلفاء، ويكلفها خسائر كبيرة. وبسبب هذا الانتصار، أصبح أتاتورك يتمتع بشهرة عسكرية وشعبية كبيرة. انظر ماجدة مخلوف، الخلافة في خطاب أتاتورك، مرجع سبق ذكره، ص 31.

[148] - قال وحيد الدين عندما تم تعيين مصطفى كمال أتاتورك ليكون ياوراً له أثناء سفره إلى ألمانيا: "إنه محظوظ وممتن لأن يكون في رفقته بطل معركة "چناق قلعة". كما كان السلطان عبد الحميد الثاني، وكان حينئذ مخلوعاً عن العرش، معجباً أيضا بأتاتورك لكونه "أحد الباشاوات الذين بيضوا وجه الدولة." انظر المرجع السابق ص 31.

زيارة ألمانيا

رافق مصطفى كمال باشا، الأمير وحيد الدين في زيارته الرسمية إلى ألمانيا في 15 ديسمبرعام 1917، حيث وجدها فرصة لمقابلة الإمبراطور ويليام الثاني، والاتصال بالقادة الألمان، والاطلاع عن قرب على أحوال الجبهات الحربية. وفي أثناء جولته في الجبهة الألمانية الغربية[149]، أعرب عن أرائه في إمكانية سقوطها، كما تحدث عن وضع ألمانيا أثناء الحرب. وتوطدت علاقته بولي العهد خلال الرحلة، وصارا صديقين. وحاول مصطفى كمال أن يقنع وحيد الدين، أن ألمانيا لا تستطيع أن تكسب الحرب، وأن التحالف معها غير مجدٍ، وأن أنور يجب أن يُنحى عن الحكم. كما اقترح على وحيد الدين أن يتولى قيادة الجيش الخامس أسوة بالأمراء الألمان، وأن يعينه هو نائباً عنه في القيادة[150].

أمرالأمير وحيد الدين صهره عمر فاروق أفندي الذي رافقه في رحلة ألمانيا، بأن يتعرف على أفكار مصطفى كمال، وهل هو ضد الاتحاد والترقي، ومع السلطنة والخلافة، أم لا؟ وعندما أخبر عمر فاروق السلطان، بأن مصطفى كمال سكير، قال: "إن السكارى لا يخبئون سراً، وأثناء سكره يفصح عن أفكاره بصراحة". وفعلا فعل عمر فاروق ما أمره به الأمير، وقدم له تقريراً يفيد أن مصطفى كمال ضد الاتحاد والترقي، ومرتبط بمقامي السلطنة والخلافة. بعد ذلك اعترف عمر فاروق أفندي، للأمير محمود شوكت أفندي ابن السلطان عبد العزيز قائلاً: "إنني ضللت وحيد الدين برأيي الخاطيء في مصطفى كمال؛ لأن وحيد الدين بعد ذلك اختار مصطفى كمال، عندما أراد أن يرسل أحد الضباط إلى الأناضول، لكنني ماذا كان في استطاعتي فعله؟ فقد خدعني فكره. فقد أظهر أنه ضد الاتحاد والترقي، وأنه مرتبط بمقامي السلطنة والخلافة. ومنذ ذلك الحين والأمير يثق به، ويعتقد إنه ضد الاتحاد والترقي، والحقيقة إنه لم يكن كذلك"[151]. فقد قال مصطفى كمال لفالح رفقي آتاي، وهو أحد المقربين له ما يلي: "نعم أنا لست ممثلاً للاتحاد والترقي، لكنني سأقول لك إن جمعية الاتحاد والترقي كانت جمعية محبة للوطن، وأنا موجود داخل هذه الجمعية منذ بدايتها، وظللت بداخلها مدة طويلة جداً من الزمن"[152].

كان السلطان مخطئاً في اعتبار مصطفى كمال ضد الاتحاديين، ومخطئاً أيضا في اعتباره من مؤيدي السلطنة والخلافة، وبرغم شكه في هذا- وهو ما يتضح من خلال تكليفه الأمير عمر فاروق أفندي، بالتأكد من ذلك- فقد صدق أنه مع السلطنة بناءً على

---

[149] - في أثناء زيارة وحيد الدين لألمانيا، تجول في الخنادق التي في جبهة جاليشيا. وعندما طلب الضباط الألمان منه أن يطأطأ رأسه حتى لا يتعرض للخطر، رد قائلاً: "التركي لا يطأطأ رأسه أبداً في مواجهة العدو" انظر Hüseyin Nihal Atsız, "Türk ülküsü", a.g.e. s. 85

[150] - Falih Rıfkı Atay, "Çankaya", Doğan Kardeş Basımevi, İstanbul 1984, s. 105, 106

[151] - Kadir Mısıroglu, " bir mazlum Padişah, Sultan Vahideddin", a.g.e. s. 114,115

[152] - Falih Rıfkı Atay, "19 Mayıs", a.g.e .s. 11,12

تقرير شفهي من الأمير عمر فاروق. لكن مصطفى كمال كان منذ سنوات شبابه ضد السلطنة، بل وكان يسعى لإنشاء إدارة جمهورية[153]. كما كان من بين ضباط "جيش الحركة"[154] الذي جاء من سلانيك[155] إلى استانبول. وقد انضم بوصفه "مندوب بنغازي" إلى مؤتمر الاتحاد والترقي في عام 1909. ومنذ ذلك التاريخ وهو بينهم[156]. ويقال أن من سماه بجيش الحركة هو مصطفى كمال نفسه. وقد استطاع مصطفى كمال إخفاء توجهاته ونواياه، حتى أنه في أحد أيام رحلة ألمانيا، سأله سامي بك عن رأيه في وحيد الدين، فأجاب مصطفى كمال قائلاً: يمكن عمل الكثير مع هذا الرجل، بشرط التواجد دائماً أمام عينيه، وخدمته بصدق وأمانة[157].

اللقاء الأول مع مصطفى كمال بعد اعتلاء العرش

عندما تولى السلطان محمد وحيد الدين العرش العثماني، كان مصطفى كمال مريضاً يُعالج في "كارلسباد"[158] من مرض أصاب كليتيه. وعندما تلقى مصطفى كمال خبر وفاة السلطان محمد رشاد، وجلوس وحيد الدين على العرش، لم يعد إلى إستانبول بل أرسل إلى القصر برقية تهنئة في 19 يولية 1918، يوضح فيها وجهة نظره الكاملة تجاه

---

[153] - Kadir Mısıroğlu, "bir mazlum Padişah, Sultan Vahideddin", a.g.e. s.191

[154] - جيش الحركة: هو الجيش الذي تحرك من سلانيك نحو العاصمة استانبول، للقضاء على الحركة المضادة للدستور العثماني الذي أعلنه السلطان عبد الحميد الثاني. وحاصر هذا الجيش قصر يلديز، وأعلن الأحكام العرفية، وأنشأ محاكم استثنائية لمحاكمة المناهضين للدستور. واجتمعت الجمعية العامة للاتحاديين، وقرروا خلع السلطان عبد الحميد الثاني، واعتبروه مسئولاً عن تفجر الحركة المضادة. انظر محمد سهيل طقوش، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، مرجع سبق ذكره، ص 542

- اعترف مصطفى كمال في مذكراته: بإنه كان يتآمر على السلطان عبد الحميد الثاني بوصفه رجلاً ضعيفاً، وإنه وجماعته حاولوا تجريده من القوة الباقية التي يتمتع بها، لتحرير البلاد من شره. واعترف أيضا أنه كان منضماً إلى المعارضين للسلطان. انظر داجوبيرت فون ميكوش، مصطفى كمال، المثل الأعلى، مرجع سبق ذكره، ص 63 ،64

[155]- سلانيك: هى مدينة يونانية تقع شرق اليونان على خليج سلانيك، فتحها السلطان مراد الثاني عام 832هـ-1428م، وكانت من أكبر المدن التابعة للدولة العثمانية. وكان اليهود يشكلون نصف سكانها، وهم ينحدرون من اليهود الذين طُردوا من الأندلس. انظر شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، مهران مطبعةسي، جلد4، استانبول 1306 – 1316ص 25911 ، 25912

[156]- كان مصطفى كمال مجرد عضواً اسمياً في جمعية الاتحاد والترقي، وكان في الواقع من ألد خصومها، ومعارضي سياستها، بل كان يدعو أصدقائه الضباط للالتفاف حول جمعية "الوطن والحرية". وفي تلك الأثناء كانت جمعية الاتحاد والترقي يزداد تأثيرها وانتشارها، فالتف أصدقائه الضباط حولها، وتركوا جمعية الوطن والحرية. وبذلك ابتلعت جمعية الاتحاد والترقي، جمعية الوطن والحرية، وضمت إليها أصدقاء مصطفى كمال. وكان الاتحاديون لايعيرون مصطفى كمال أية أهمية، ولم تكن تعجبهم تصرفاته. وكان هو حاقداً عليهم حتى النهاية؛ لأنهم كانوا أكثر جرأة وتضحية منه، برغم إنها جرأة وتضحية في سبيل الباطل. فكان مصطفى كمال بالنسبة للاتحاديين مجرد شخص يحترق شوقاً للشهرة والصعود. سكيراً وانتهازياً، ودائم النقد بين أصدقائه للأوضاع القائمة. وساقطاً من الناحية الأخلاقية لكونه مغرماً باللهو والمجون. وبرغم كفاءته العسكرية، كان شرهاً للشهرة لا يشبعه أي شيء. وعندما أُعلن الدستور في عام 1908، سيطر الاتحاديون- بالرغم من كونهم لم يستلموا الحكم بعد- على معظم الأماكن الحساسة. وقام أنور -الذي كان لا يرتاح إلى مصطفى كمال- بنفيه إلى طرابس الغرب، بحجة القضاء على ثورة هناك. انظر الرجل الصنم ، مرجع سبق ذكره، ص 67- 71

[157] - Kadir Mısıroğlu, " bir mazlum Padişah, Sultan Vahideddin", a.g.e. s.118,189

[158] - كارلسباد: مدينة في تشيكوسلوفاكيا

وحيد الدين، وحكمه القيم عليه. ثم عاد إلى استانبول بناءً على مناشدة عزت باشا له بالعودة إلى العاصمة، بعد تولي وحيد الدين العرش[159].

استقبل وحيد الدين مصطفى كمال بكل ود وترحيب، وأشعل له سيجارته بيده، وهى عادة تدل-وفق التقاليد التركية- على الإكرام والاحترام[160]. فشجعت هذه المعاملة مصطفى كمال؛ فسعى لكي يوطد نفوذه وتأثيره على وحيد الدين، كي يصبح القوة المحركة لصاحب العرش، وبهذا يرتقي إلى القمة، ويستأثر بالسلطة التي يريدها. كما أراد أن يصاهر السلطان حيث طلب منه أن يزوجه ابنته صبيحة، ولكن السلطان رفض لأنها كانت مخطوبة للأمير عمر فاروق، ابن الأمير عبد المجيد، ابن عم السلطان وولي عهده[161]. في ذلك اللقاء أخذ مصطفى كمال يصارح وحيد الدين بأرائه بحرية. وفاتحه مرة أخرى في أمر تولية قيادة الجيش -الذي تحدث إليه بشأنه خلال رحلته معه إلى ألمانيا، عندما كان ولياً للعهد- موضحاً له أن ذلك سيمكنه من السيطرة الكاملة على الجيش. وتحدث معه أيضا عن ضرورة تجريد أنور باشا، والقادة الألمان، من كل سلطة، وذلك حتى يسيطرهو على مقاليد الأمور، ولا يصير مجرد سلطاناً بالاسم فقط. وأكد له استعداده لأن يضطلع بأعباء القيادة العامة، عند تعيينه نائباً للقائد الأعلى للجيش. كما عرض عليه اقتراحه بضرورة التحرر من التحالف الألماني، وعقد صلح منفرد مع قوات الحلفاء، لكن السلطان لم يجبه إلى طلبه، ولم يعده بأي شيء[162]. وعندما التقى مصطفى كمال بالسلطان وحيد الدين مرة أخرى، كرر كلامه واقتراحاته السابقة، فأجابه السلطان وحيد الدين قائلاً: "أيها الباشا: إن شعب استانبول جائع، وأنا أهتم قبل أي شيء بإشباع الشعب، وعندما أضمن إشباعهم، اتخذ بعد ذلك التدابير التي تتحدث عنها." وعندما صمم مصطفى كمال على إقناع السلطان باقتراحاته- فقد كان كل أمله في تلك المرحلة أن يُعين نائباً للقائد الأعلى للجيش، أي نائباً للسلطان، عندما يتولى قيادة الجيش- قال له السلطان: إنه سيتشاور مع طلعت باشا وأنور باشا في الأمور التي يجب عملها. وهو بهذا أراد أن يتهرب من مصطفى كمال، وإلحاحه[163].

---

[159] - Necip Fazıl kısakürek, “Sultan Vahiduddin”, a.g.e. s. 125

[160]- يصف مصطفى كمال هذه المقابلة قائلاً: "قابلني بلطف كبير، وأبدى لي قرباً أكثر من السابق عندما كان ولياً للعهد. وأشار إلي بالجلوس أمامه، والتقط من صندوق السجائر على المنضدة التي كانت بيننا سيجارة، وقدمها إلي، وأخذ هو سيجارة. وبعد أن أشعل سيجارته قدم نفس الكبريت إلي، وأمام هذه المعاملة الرقيقة تفتحت آمالي؛ فقدمت له في باديء الأمر تهاني بصيغة مناسبة، وقلت له إنه اعتلى العرش العثماني في ظرف خطير. وتحدثت معه حديث طويل." انظر الرجل الصنم ، مرجع سبق ذكره، ص 95

[161]- ماجدة مخلوف، الخلافة في خطاب أتاتورك، مرجع سبق ذكره، ص 64 .

[162] - أرمسترونج، الذئب الأغبر، مرجع سبق ذكره، ص 87 .

[163]- Necip Fazıl kısakürek, “Sultan Vahiduddin”, a.g.e. s. 127,128.

رغبة مصطفى كمال في تولي وزارة الحربية

بعد عقد هدنة موندروس، رحل قادة الاتحاد والترقي عن تركيا في 2 نوفمبر 1918، واستقالت حكومة عزت باشا. وعاد مصطفى كمال باشا، قائد جيش الصاعقة إلى استانبول، وحاول إعادة عزت باشا إلى الصدارة، حتى يحصل منه على وزارة الحربية. فكان يحرض مجلس النواب على عدم إعطاء الثقة إلى الوزارة الجديدة التي سيؤسسها توفيق باشا، ويبذل قصارى جهده لتحقيق ذلك. وكانت أكثرية المجلس في ذلك الوقت في أيدي الاتحاد والترقي الذين كانوا يرون-اعتماداً على هذه الأكثرية- ضرورة تولية عزت باشا مرة أخرى. وكانت قائمة أسماء الحكومة جاهزة، ومنصب وزير الحربية مخصصاً لمصطفى كمال. فجرى إعداد برنامج يفيد أن الصدارة لا تليق بتوفيق باشا، وبذل مصطفى كمال ما في وسعه حتى لا يتم طرح الثقة في توفيق باشا، فتحدث إلى وكلاء الأمة من الاتحاديين وحاول اقناعهم، ولكن محاولاته باءت بالفشل. ففي ساعة الاقتراع مضى مصطفى كمال إلى "قاعة الغرباء" في دار البرلمان، لينصت إلى مناقشة الاستجواب، وفي النهاية فاز توفيق باشا بأغلبية ساحقة، فقد خشي النواب من مصطفى كمال، وأرائه، وشدة بأسه، وارتابوا في مطامعه[164]. وأخذت وزارة توفيق باشا الثقة بأكثرية ساحقة، فانسحب مصطفى كمال إلى بيته في (أكارتلر)، ولم يجد أمامه من حيلة سوى الذهاب إلى القصر للحديث مع وحيد الدين، فقد تصور أنه يستطيع إقناعه، ولكن وحيد الدين- الذي كان على حد قوله: "يخفي بصورة شيطانية قراراً في رأسه، ويبدو أمامنا بمظهر خادع، ولا يكشف عما يدور في داخله"- دعاه لصلاة يوم الجمعة، لمناقشته فيما يريده[165].

التقى مصطفى كمال بالسلطان وحيد الدين بعد الصلاة، وطلب منه بشكل مباشر أن يؤلف حكومة قوية لتواجه الأعداء، قائلاً: **"إن كلمة واحدة من جلالتك كفيلة بتقوية الحماسة الوطنية، فاجعلني وزيراً للحربية في حكومة قوية، وأنا كفيل بإنقاذ تركيا. فهذا البرلمان يجب أن يُحل، فإن نصف النواب خونة، وأعضاء في جمعية الاتحاد والترقي، وأصدقاء لأنور. ونصفهم الآخر من الجبناء، وليس منهم رجل واحد صلب العود![166]. ولكن السلطان تجاهل جميع مطالبي، وطلب مني ضماناً لإخلاص الجيش للسلطنة. وبادرني بقوله: (إنني أرى أن ضباط وقادة الجيش يحبونك جداً، فهل تضمن لي ولائهم لي، وعدم الإضرار بي؟). ولما لم أفهم المقصود من هذا الكلام سألته قائلاً: هل تعتقد أن الجيش سيثور ضدكم؟ لم يجب السلطان، بل أغلق عينيه، ثم كرر نفس السؤال. فأجبت قائلاً: أنا عائد لتوي إلى استانبول من عدة أيام فقط، ولا أعرف الموقف عن قرب، ولا أظن أن هناك ما يدعو الضباط، وقادة الجيش للثورة ضد ذاتكم السلطانية، ولكني أعدكم أن لا يسوؤكم شيء من جانب الجيش. فأضاف السلطان قائلاً**

---

[164]- أرمسترونج ، مرجع سبق ذكره، ص102

[165]- Murat Bardakçı, "Şahbaba", a.g.e.s.104

[166] - Necip Fazıl kısakürek, "Sultan Vahiduddin", s. 168,169

على نحو مبهم: (لكن أنا لا أقصد اليوم، ولا غداً). فارتبت وتحيرت من الجملة الأخيرة، وقلت لنفسي، هل يفكر السلطان في القيام بعمل قد يؤثر على الضباط وقادة الجيش المحبين للوطن، ويريد أن يخدعني، ويضمنهم عن طريقي؟ لكن هل عندما أصرح له بتفكيري، سيخدم هذا هدفي وغرضي الذي جئت من أجله؟ إن أمامي رجل يبدو أنه قد اتخذ قراراً ما منذ فترة طويلة، ولكني لا أعرف ما هو، لا أنا ولا الأشخاص الآخرين الذين أنا على اتصال بهم الذين لا يريدون أن يفهموا شيئاً، وبالتالي لا يستطيعون اتخاذ أي تدبير. وبينما أنا في انشغالي بهذه الأفكار، نهض السلطان، وأنهى المقابلة قائلاً: (أنت قائد عاقل، وأعلم إنك ستخفي الأمر، ولاتعلنه لأصدقائك). وخرجت من لقاء وحيد الدين، وأنا بلا أمل ومتأثر، لكن لا أعرف، ولا أفهم السبب الحقيقي لتأثري"[167].

وهكذا مكث مصطفى كمال الذى أُبعد عن وزارة الحربية بشكل ماكر، وبأسلوب ذو مغزى - منذ هذا التاريخ، وبعد حديث قصير مع السلطان لم يخرج منه بأي نتيجة- بلا عمل، أولاً فى منزل أمه في (بشيكطاش)[168]، ثم في (عقاراتلر) ثم في منزله في (شيشلي) لمدة 6 شهور. وكان يتابع كارثة السقوط كلها وهو في منزله، ولم يبدِ أي دليل أو علامة على أنه يخطط لثورة شعبية في الأناضول. وظل لا يعمل ولا يفكر في أي شئ سوى ترقب الأحداث في نهاية عهد السقوط، حاملاً لقب "الياور الفخري لحضرة السلطان"[169].

تكليف السلطان مصطفى كمال بمهمة قيادة المقاومة الشعبية

كان السلطان محمد وحيد الدين يدرك أن الدول الغربية - وخاصة إنجلترا وفرنسا- لن تسمح بالقضاء على تركيا، لأن وجودها ضروري لإقامة التوازن في المنطقة. فالقضاء على تركيا يؤدي إلى فتح الطريق أمام روسيا، للاستيلاء على الأناضول، وعلى مضيقي البسفوروالدردنيل. وكان يرى أن الغرب لايريد سوى استئصال أطراف الدولة العثمانية، وجعلها دويلة صغيرة مثل دول البلقان وباقي الدول التي كانوا يهدفون إلى إيجادها في المنطقة على أنقاض الدولة العثمانية. وبناءً على ذلك كان السلطان محمد وحيد الدين يعلم أن استرجاع بعض ما أُخذ لايتم بالهبة، بل لابد من القتال في سبيل استرجاعه. وبالتالي لابد من إشعال ثورة في البلاد، خاصة في الأناضول، بعيداً عن العاصمة استانبول التي استولى عليها الحلفاء[170]. إذ بعد هدنة موندروس، واحتلال اليونانيين لإزمير وارتكابهم كافة أشكال العنف، بدأت حركات مقاومة محدودة في الأناضول، ففي إزمير اعتصم كثير من الفدائيين بالجبال. وتأسست عدة جمعيات، كان الهدف المشترك

---

[167] -Murat Bardakçı, "Şahbaba", a.g.e.s.115,116 ve Falih Rıfkı Atay,"Çankaya", a.g.e.s. 107

[168]- بشيكطاش: هى إحدى ضواحي استانبول

[169]- Necip Fazıl kısakürek, "Sultan Vahiduddin", s. 168,169

[170] - بيان السلطان وحيد الدين. انظر Metin Hülagü, Tarih ve Medeniyet, a.g.e. s. 30,31

لها هو الدفاع عن الحقوق الوطنية في مواجهة تجاوزات، واعتداءات اليونانيين. فشكلت جمعية (تراقيا تاش إيلي) في أدرنة وحواليها، وفي الشرق في أرضروم[171]، شُكلت جمعية (الدفاع عن الحقوق الملية في الولايات الشرقية) وكان مركزها العام في استانبول[172]. وفي إزمير تأسست جمعية (الدفاع عن الحقوق العثمانية) وكانت تهدف إلى إيقاظ الوعي القومي، وجمعية (رد الحق) التي كانت تهدف إلى مقاومة الاعتداء اليوناني. وفي طرابزون، شُكلت جمعية (الدفاع عن الحقوق) وفي استانبول كانت توجد جمعية (الدفاع عن لامركزية طرابزون وحواليها)[173]. وهذه الجمعيات- وإن كانت غير منظمة- كانت تهدف إلى غاية واحدة، هى إنقاذ الخليفة، ومقاومة الاحتلال[174]. لذلك فإن الوضع كان مُهيئاً، وكان يحتاج إلى شخص، يجمع ويوحد، ويدفع، ويقود[175]. وكان السلطان يدرك أن هذه الحركات الشعبية ستمكنه من المناورة أثناء عقد مؤتمر الصلح، ليحقق أكبر قدر من المكاسب. ولكنه كان يخشى من المخاطرالتي قد تتولد عن اتخاذ موقف مناهض، والوقوف بالسلاح ضد احتلال غرب الأناضول. فتظاهر السلطان أمام الإنجليز- الذين طلبوا منه القضاء على حركات المقاومة الشعبية التي اندلعت في الأناضول، وتحقيق الأمن والاستقرار هناك- بإنه لايؤيد هذه الحركات حتى يتجنب انتقام الأعداء، وحتى لا يتحقق قولهم: "لم يعد على خريطة العالم دولة اسمها تركيا". وفي الوقت نفسه قام بدعم هذه الحركات سراً.

---

171 - أرضروم: هى ولاية تقع شمال شرقي تركيا، استولى عليها السلاجقة عام 1201، ثم الأتراك عام 1517، واحتلها الروس ثلاث مرات في أعوام 1828، 1878، 1916. واجتمع فيها المؤتمر الوطني التركي في 23 يوليو 1919. انظر الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، مرجع سبق ذكره، ص 120

172- تأسست جمعية الدفاع عن الولايات الشرقية في استانبول في 4 ديسمبر 1918. وفي 10 مارس 1919 أُنشأت شعبة لهذه الجمعية في أرضروم، وكانت تهدف إلى ضمان تمتع جميع الأهالي بالحقوق السياسية والملية التي يكفلها القانون. وحماية الحقوق التاريخية للمسلمين. وضمان عدم الانحياز، والتزام العدل عند التحقيق في الجرائم، وعند عقاب المتجاوزين. وكانت هذه الشعبة تعمل بالاتحاد مع جمعية الدفاع عن الحقوق التي تأسست في طرابزون، في 12 فبراير 1919، والتي كانت تنادي بضرورة الارتباط بالدولة العثمانية. والعمل على حماية الحقوق الملية أمام مؤتمر السلام، وفقاً لمباديء ويلسون خاصة المادة 12 التي تنص على: ضمان سيادة الأجزاء التركية. وإعطاء الشعوب الأخرى غير التركية التي تخضع لها، حق تقرير المصير. وحرية المرور في المضائق لجميع السفن بضمان دولي. وقد تمسك العثمانيون بنصوص المباديء التي قررها ويلسون، ولهذا فإنهم عندما وقعوا شروط هدنة موندروس، لم يكن بداخلهم أدنى شك في بقاء السيادة العثمانية على سائر أرجاء السلطنة، التي يعد العنصر الإسلامي أكبر العناصر فيها. وكان هذا الاعتقاد راسخاً في نفوسهم، حيث كان أحد مبادئ ويلسون، التي قبلوا الصلح بموجبها. انظر كتاب الوطنية العثمانية ، تأليف مدام بيرت جورج جوليس، مرجع سبق ذكره، ص 114

173- Tevfik Bıyıklıoğlu, ‘‘Atatürk Anadolu’da’’, a.g.e s.26, 27

174 - يقول أتاتورك: "إن الشعب والجيش في ذلك الوقت كانو مطيعين، وصادقين نتيجة الروابط الدينية والتقليدية التي جذرتها العصور في وجدانهم تجاه ذلك المقام، ومن يحتل ذلك المقام. وإن الشعب والجيش - أثناء تفكيرهم في سبيل للخلاص- كانوا يفكرون بدافع هذا الاعتياد الموروث، في إنقاذ مقام السلطنة والخلافة العلية، قبل تخليص أنفسهم." انظر مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص 4 ، 8

175ـ مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص 4 ، 5

يقول رؤوف أورباي: "إن لم يكن مصطفى كمال انضم إلى حركة المقاومة الشعبية، لم تكن الدولة تم إنقاذها، وإذا لم يقم مصطفى كمال بتوحيد حركات المقاومة المحدودة، التي أسسها محبى الوطن في غرب وشرق وجنوب الأناضول، كانت كل حركة منفصلة سيتم إبادتها، والقضاء عليها بسهولة، فهو المنقذ الكبير." انظر Tevfik Bıyıklıoğlu, ‘‘Atatürk Anadolu’da", a.g.e. s. 10

في ذلك الوقت كان السلطان وحيد الدين يثق في مصطفى كمال، وكانت تجمع بين السلطان ومصطفى كمال عدة نقاط مشتركة ساعدت على تقاربهما[176]. فقد كان السلطان يعتقد أنه مناهضاً لجماعة الاتحاد والترقي مثله، كما كان كلاهما رافضاً اشتراك الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى[177]، وكلاهما كان يرى في هدنة "موندروس" ضرراً بالغاً للدولة. لهذه الأسباب عين وحيد الدين، مصطفى كمال مفتشاً على الجيش التاسع، بحجة أن يكون المندوب الذي طلب الإنجليز إرساله لإخماد حركات المقاومة الشعبية في الأناضول. وأمر السلطان بإعطائه مخصصات رسمية، واعتماد مالي كبير. ومنحه قرار حكومي يشتمل على المهام المكلف بها، باعتباره رئيساً لمفتشية الجيش التاسع[178]. وقد اختارالسلطان مصطفى كمال لهذه المهمة لأنه كان أكثر الضباط الذين يعرفهم وطنية، ولأنه قدير في قيادته العسكرية. فقد استطاع أن يرد الإنجليز مهزومين عن (غاليبولي) عام 1915، ونال بذلك حب الأتراك، وتقدير السلطان، باعتباره منقذ العاصمة استانبول من الإنجليز. ورأى السلطان أن إرساله لدعم حركات المقاومة الشعبية في الأناضول، سوف يحظى باحترام وتقدير كبيرمن أتراك الأناضول، باعتباره مبعوث السلطان. فأرسله إلى (سامسون) نيابة عنه. فقد كان السلطان وحيد الدين في البداية يفكر في أن ينتقل إلى سامسون[179]، ليكون بنفسه على رأس حركة مقاومة الاحتلال هناك، لكن رجاله حذروه من مغادرة استانبول، فاستجاب لرأيهم، وهو ما ندم عليه بعد ذلك. فعندما صارح

---

[176]- Nizamettin Nazif Tepedelenlioğlu, "Ordu ve Politika", Kutup Yıldızı Yayınları, İstsnbul 2003, s.230-234

[177] - كان مصطفى كمال يؤمن بأن الحكمة كانت تقتضي أن تقف تركيا على الحياد، حتى تتبين الكفة الراجحة فتساومها على مؤازرتها. انظر أرمسترونج،مرجع سبق ذكره، ص 52

- ويقول السلطان وحيد الدين عن الحرب العالمية الأولى: "كنت دائماً ضد دخول تركيا الحرب. لقد اعتليت العرش مكان أخي السلطان محمد الخامس، في وقت لم يكن من الممكن الرجوع عن خوض الحرب بما كان سيضر بنا. وكان أملي الوحيد أن يتم إبرام الصلح. لكن حكومة (الاتحاد والترقي) الشبيبة الأتراك، التي سيطرت على مقادير الأمور منذ عام 1908، جعلت محاولاتي كلها الرامية لإبرام الصلح لا تسفر عن أي نتيجة. وحرموا الدولة من جميع المصالح التي كنت انتظرها من الدخول في مباحثات صلح منفردة." انظر Ömer Farouk Yılmaz,Tarih ve Medeniyet,sayı 43 ekim1997,s25

[178]- تم نشرالقرار الحكومي في جريدة تقويم الوقائع الرسمية، "Takvim –i vekayı" بتاريخ 5 مايو، نسخة رقم 3540. وكانت المهام المكلف بها مصطفى كمال مهاماً عسكرية ومدنية. انظر ملحق الوثائق ص 297، الوثائق أرقام (4- 19) ص 301- 316، الخاصة بتعيين مصطفى كمال رئيساً لمفتشية الجيش التاسع. والمهام المكلف بها في وثيقة رقم (6) ص303

[179]- يروي سامي بك ابن أخت السلطان وحيد الدين هذه الحكاية: "إن السلطان اتفق معي على الرحيل عن استانبول، والذهاب إلى الأناضول، ليقود حركة المقاومة الشعبية بنفسه، واجتمعت بأولادي وزوجاتي وأخبرتهم أن خالي ينوي الرحيل إلى الأناضول. وقمت بتجهيز أمتعتي. وقبل الفجر بقليل جاء رامبولد، المفوض الإنجليزي الأعلى في استانبول، وطلب مني الذهاب معه إلى قصر يلديز لمقابلة السلطان، وبالفعل ذهبنا إلى هناك. وبدأ رامبولد حديثه مع السلطان بقوله: (إذا غادرت استانبول فسنغادرها نحن الإنجليز أيضا، ولن يبقى فيها نفر إنجليزي واحد. ولكن يقف على أعتاب جامليجة خمسة ألاف جندي يوناني، كلهم على استعداد للدخول إلى استانبول، فما رأيك؟ والقرار قرارك) ثم ذهب. فأمر السلطان الذي كان قد جهز حقيبته بإفراغ الحقائب، ورجح البقاء في استانبول، حتى لا تقع في أيدي اليونانيين." انظر Murat Bardakçı, "Şahbaba", a.g.e s.219

توفيق باشا برغبته تلك، نصحه بألا يفعل ذلك لأن هذا سيثير قوات الحلفاء، وسيؤدي إلى ضياع استانبول[180].

وفي 13 مايو1919 تناقش جواد باشا، المستشار الأول لوزارة الحربية، مع داماد فريد باشا، الصدر الأعظم، بشأن خط الحركة الذي سيتعقبه مصطفى كمال في الأناضول، وكان ذلك في نيشان طاشي. وفي اليوم التالي - في 14 مايو الساعة السابعة والنصف مساءً- التقى السلطان وحيد الدين مع مصطفى كمال، في صالون صغير في قصر (يلديز) تطل نوافذه على البسفور، حيث السفن الحربية الإنجليزية تقف متراصة، وموجهة مدافعها تجاه القصر. ودعاه إلى الجلوس بجانبه متقاربان، وبعد أن أشاد بأعماله البطولية التي قام بها - مشيراً إلى إنها سوف تُكتب في كتب التاريخ- حدثه عن المهمة التي اختاره للقيام بها، ووصفها بأنها أهم خدمة سيؤديها، حيث الاجتهاد بجد وصدق، سيؤدي إلى إنقاذ الدولة من الكارثة التي وقعت فيها[181]. وأخبره بأنه قام بتوزيع بعض قادة الجيش، على رأس فرق الأناضول، ومهمته هو المعلنة - التي تعرفها الحكومة والإنجليز- هى التفتيش على فرق الأناضول، وتحقيق الأمن في سامسون ونواحيها، وإخضاع جيش الشرق لشروط الهدنة. ولكن المهمة الأساسية والسرية، هى دعم حركات المقاومة في شرق الأناضول، حتى يتسنى لرجال السياسة المناورة أثناء عقد مؤتمر الصلح، للحصول على أكبر قدر من المكاسب. وأخبره أنه حتى ينجح في هذه المهمة، عليه أن يبدو معارضاً للحكومة في استانبول الواقعة تحت سيطرة قوات الاحتلال، في خلال سعيه لاستقلال الوطن، وطرد المحتلين. ثم أنهى معه اللقاء بعد أن أقنعه بصعوبة[182] لقبول هذا التكليف، وشد على يده ودعى له بالتوفيق، ومنحه بعض الهدايا داخل علبة من القطيفة، وكانت عبارة عن ساعة صغيرة، حُفر على غطائها شارة السلطان وحيد الدين. وأعطاه مبلغاً كبيراً من ماله الخاص، من أجل المهمة التي كلفه بها

---

[180] - يقول السلطان وحيد الدين في مذكراته التي أملاها لعوني باشا: "كان من الضروري أن أتمسك برأيي، وأكون على رأس الجيش، وأتوجه إلى الأناضول، لكن الصدر الأعظم عارضني معارضة شديدة عندما صارحته بتفكيري هذا، وحاول هو وعزت باشا ورضا باشا إثنائي عن الذهاب، و قد جاهدتهما طويلاً، ولكن انهزمت في النهاية. فقد قالا لي: (سنحارب مع مصطفى كمال، ونبايعك حتى النصر. فإذا انهزم مصطفى كمال باشا لا قدر الله، فسيكون هو المسئول، أما إذا ذهبتم أنتم إلى الأناضول، وحدث لا قدر الله أن انهزمتم، فمن الذي سينقذ الموقف؟ فمنذ هزيمة أنورباشا وطلعت باشا، وأنتم تجاهدون من أجل تسوية الموقف مع الدول المنتصرة)." انظر ,Murat Bardakçı "Şahbaba", a.g.e, s. 420

[181] - Zekeriya Türkmen, "Mütareke Döneminde Ordunun Durumu ve Yeniden Yapılanması (1918-1920)",Türk Tarih Kurumu,Ankara 2001,s.127

[182] - يقول على نوري بك بن توفيق باشا، وهو من ياوران وحيد الدين: "إنه عندما جاء ناجي باشا (باش مابين القصر) أي رئيس ديوان القصر السلطاني، وقال لنا أن مصطفى كمال وافق على المهمة، من فرحتى صفقت بيدي، وقلت أخيراً استطاع السلطان إقناعه بقبول المهمة."

والواقع أن مصطفى كمال كان غير مرجحاً ترك استانبول، لأنه اعتبر هذا التعيين كنفي واستبعاد له من استانبول وهى مركز السياسة. وهذا ما أشار إليه بعد ذلك في نطق حيث قال: "أرسلوني إلى الأناضول بهدف نفيي واستبعادي." انظر مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص7و Kadir Mısıroğlu, "bir mazlum Padişah, Sultan vahideddin", a.g.e. s. 205

لإنقاذ الوطن.وخط همايوني[183] يجعله بمثابة ممثل السلطان في الأناضول، حيث يعطيه صلاحيات مدنية وعسكرية واسعة، تمكنه من تنظيم حركات المقاومة الشعبية في حركة واحدة منظمة، تحت قيادته لطرد قوات الاحتلال. وكان هذا هو أخر لقاء تم بين السلطان وحيد الدين ومصطفى كمال في القصر[184]. لأن السلطان التقى بمصطفى كمال باشا مرة أخرى في صلاة يوم الجمعة الموافق 16 مايو 1919. وكان معه في هذا اللقاء فريد باشا، الصدر الأعظم، وعوني باشا، ياورالسلطان. وجرى هذا اللقاء داخل إحدى الغرف، وأدلى مصطفى كمال بالقسم[185]، من ورقه بيده، وكان يضع يده الأخرى على المصحف، قائلا: "أقسم بالله أن أبذل ما في وسعي لتشريف السلطان مصدر الفخر، وتحقيق رغبه الخليفة في مهمة التفتيش الموكلة إلي في الأناضول ونواحيها،على الموظفين، والعسكريين، والمدنيين، مستنداً على الصلاحيات الواسعة التى تخولها لي اللائحة الخاصة، التي تشتمل على 21 مادة، والتي أعدتها الحكومة، وصدق عليها السلطان". وبعد قسم اليمين خرج عائداً إلى السفينة التي كانت تنتظره في الميناء[186].

---

[183] - ترجمة الخط الهمايوني:"من ياوران السلطان، إلي اللواء أركان حرب مصطفى كمال باشا. بسبب الوضع السياسي الحاصل الآن، والذي أصبح في صالح حلفاء الحرب الكبيرة. وبسبب تعرض ملك أجدادنا العظام، ومقام الخلافة والسلطنة، للمشاكل والمخاطر المهلكة، فإني أصدر قرار سلطنتي السنية بتعيينكم، لتقوموا بتشكيل حركة موحدة تضم الأهالي والموظفين والجنود، من أجل تأمين الأمن في المنطقة. وبذل الجهد لمنع وقوع أشياء ضد رغبة السلطان. والعمل على دعم وحماية الدولة. وتخليص ملكنا من أيادي المعتدين. وتبليغ سلامي السلطاني للجميع هناك. توقيع محمد وحيد الدين." وصورة هذا الخط، نشره مولان زاده رفعت، في كتاب له صدر عام 1929 في حلب بعنوان "Türkiye İnkılabının İçyüzü" أي حقيقة انقلاب الأناضول، وهو يحمل تاريخ 14 مايو 1919. انظر Murat Bardakçı, "Şahbaba", a.g.e. s. 129 , 139.

- هذاالخط كتبه عوني باشا بخط يده، وأعطاه لمصطفى كمال. وبعد الانتصار على اليونانيين تم وضع عوني باشا في قائمة الـ 150، وعاش فترة من حياته مع وحيد الدين في إيطاليا، ثم رحل إلى رومانيا. Kadir Mısıroğlu, " bir mazlum Padişah, Sultan vahideddin", a.g.e. s . 205-207

[184] - Necip Fazıl,a.g.e, s. 181,182 ve Falih Rıfkı Atay, "19 Mayıs", a.g.e. s. 28,29

- حكى مصطفى كمال حكاية لقائه مع السلطان وحيد الدين، وتكليفه بمهمة إنقاذ الدولة، لتشارلز هـ . شيريل السفير الأمريكي في تركيا، في شهر أغسطس عام 1932. ورسم له صورة الغرفة، على علبة سجائر. وصورة العلبة منشورة في كتاب شيريل. انظر Charles H.Sherrill,"Bir Elçiden Gazi Mustafa kemal", Tercüman Yayınları, İstanbul, tarihsiz, s. 11

[185]- تحدث عوني باشا ياور السلطان، في مذكراته عن هذا القسم الذي كتبه هو بخط يده، قائلاً: "كان السلطان يرتدي ملابسه العسكرية، ويقف على قدميه، وأمامه منضدة عليها المصحف. وتقدم مصطفى كمال بخطوة عسكرية، ووضع يده اليمنى على المصحف، وأخذ يقرأ القسم من الورقة التى في يده اليسرى. وكان هذا هو القسم الذي قال عنه المناهضين لمصطفى كمال وللجمهورية - سواء من المدنيين أو العسكريين- إنه لم يحفظ اليمين." انظر Murat Bardakçı, "Şahbaba", a.g.e. s. 135 ve Gotthard Jaeschk, "Türk Kurtuluş Savaşı Kronolojisi", c.2,Türk Tarih Kurumu Yayını, Ankara 1989, s. 117

[186]- Murat Bardakçı, "Şahbaba", a.g.e. s.135

المساعدات التي تم تقديمها إلى مصطفى كمال

لم يكتف السلطان وحيد الدين بمنح مصطفى كمال الفرمان أو الخط الهمايوني واسع الصلاحية، بل دعمه أيضا بالنقود. فقد منحه 35 ألف ليرة من ماله الخاص بعد أن باع خيول سباق كانت لديه، فلم يكن السلطان يملك ثروة شخصية كبيرة[187].

وقدم وزير البحرية، ورئيس أركان الحربية، وجميع الموظفين، إلى القوات الوطنية الكثير من المساعدات، في صورة تهريب السلاح وإرسال الضباط[188]، كما تم إرسال مخصصات سرية إلى مصطفى كمال، لدعم حركة المقاومة الشعبية[189].

وحاول مصطفى كمال أن يأخذ - إضافة إلى مرتب الثلاثة شهور- مخصصات فوق العادة، له وللضباط الذين معه، في اليوم الذي تحرك فيه من استانبول[190]. وتوجد وثيقة بتوقيع مصطفى كمال، تثبت أنه تقاضى مبلغ ألف ليرة من وزارة الداخلية، بأمر من السلطان محمد وحيد الدين، قبل توجهه إلى الأناضول[191].

كما طلب مصطفى كمال من صالح باشا - عند لقائه في آماسيا- مبلغ الـ 400 الف ليرة الموجودة في خزانة جمعية معاونة الأسطول الهمايوني، وقد أعلن هذا بنفسه في نطق[192].

---

[187]- Kadir Mısıroğlu, "bir mazlum Padişah, Sultan vahideddin", a.g.e. s.229

[188] - Edgard Pech, "les Alliés et la Turquie", Les Presses Universitaires de France, Paris 1925, s. 68 ve Harb Tarihi Vesikaları Dergisi, sayı 1, E.U.Basimevi, 1953 "11" numaralı vesika

- انظر ملحق الوثائق ص 297 ، وثيقة رقم (20) ص 317

[189]- ينكر مصطفى كمال أنه أخذ نقود معه عند سفره إلى سامسون. ولكن جوتهارد جاسك الذي تحدث عن مسألة المخصصات السرية التي مُنحت لمصطفى كمال، دون أن يكشف مقدارها، يقول: إن الداماد فريد باشا أعلن في 29 من نفس الشهر الذي رحل فيه مصطفى كمال إلى سامسون، في برقية أرسلها له، أنه أمر وزارة الداخلية بإرسال مخصصات سرية إلى مقر إقامته. وهذا مثبت في قرار مجلس الوكلاء في 1 حزيران. انظر Goothard Jaeschke, "Türk Kurtuluş Savaşı Kronolojisi", c.2 a.g.e. s. 123

[190]- يقول صباح الدين سالاك: "بعد النصر قال خصوم مصطفى كمال السياسيين الذين اختلفوا معه، أن السلطان أرسله إلى الأناضول، ومعه نقود كثيرة منه. والدليل على ذلك صورة الإيصال الذي نشره محمد على بك - الذي كان وزيراً للداخلية في تلك الأثناء، والذي طرده مصطفى كمال من استانبول بعد الانتصار على اليونانيين، وتم ادراجه في قائمة الـ 150- في الجريدة المسماه "La Republique Enchainee" التي تصدر في باريس، والخاص بمبلغ 125 ألف ليرة، قدمها لقطع الجيش التاسع. انظر Sabahattin Selek, "Anadolu İhtilali", c.1, Remzi Kitabevi, İstanbul 1963, s. 110

[191] - انظر ملحق الوثائق ص 297 ، وثيقة رقم (21) ص 318

[192]- قال مصطفى كمال عن هذا في نطق ما يلي: "كان الوضع في جبهات آيدين يزداد حرجاً، لذلك قررنا أنا وصالح باشا في آماسيا أن نكتب إلى وزارة الحربية، حتى تخصص 400 ألف ليرة من نقود جمعية الأسطول، لسد احتياجات هذه الجبهة. ورجونا من قيادة الفيلق 12 الذي في قونية، الدعم بقطع المدفعية والبنادق الألية، وإعطاء المعدات الحربية والأسلحة إلى المجاهدين الذين في الجبهة." انظر مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص 206

- وهذه الطلبات كلها تم تنفيذها. انظر Kadir Mısıroğlu, "bir mazlum Padişah, Sultan vahideddin", a.g.e. s. 228

ذهاب مصطفى كمال إلى الأناضول

سافر مصطفى كمال إلى الأناضول من ناحية، كرجلاً وضعت الحكومة ثقتها فيه. وكممثلاً اعترفت دول الحلفاء به، ووافقت على تعيينه مفتشاً على الجيش التاسع، وحاكماً عاماً على الولايات الشرقية.ومن ناحية أخرى، كنائباً عن السلطان لإنقاذ الوطن من المحتلين، بعد أن أعطاه السلطان صلاحيات مدنية وعسكرية واسعة، في المناطق المجاورة للمنطقة المكلف التفتيش بها، ليتمكن من تنظيم حركات المقاومة الشعبية في حركة واحدة منظمة تحت إدارته، لطرد قوات الاحتلال بموجب فرمان السلطان. فخرج مصطفى كمال من استانبول عن طريق البحر[193] في 17 مايو - بعد أن وضع مع جواد باشا مستشار الحربية الأول، رموزاً للمراسلات البرقية السرية، حتى يكون على اتصال دائم باستانبول- ووصل إلى سامسون في 19 مايو 1919. واصطحب معه 18 قائداً عسكرياً اختارهم لمساعدته، لكي يتصدى لليونانيين المحتلين. وعندما كان مصطفى كمال في الأناضول، كان يتحرك معلناً أنه يتحرك باسم الحكومة، والسلطان. فقد كان في ذلك الحين صديقاً للسلطان، ولم يكن يبدو عليه أنه يدس للحكومة، أو أنه غير راضٍ عنها. فقام بجمع الولاة وأفهمهم أنه سيقوم بتدابير وافقت عليها السلطات ورجال الحربية سراً، وأكد لهم أن الأعمال التي سيقوم بها مؤيدة من قبلهم تأييداً تاماً، ولايجب أن يعترض عليها أحد منهم، بل ينفذون جميع ما يأمر به فوراً . وأصدر من أرضروم أمراً إلى جميع قادة الجيش والولاة، بعدم تسليم الأسلحة إلى قوات الاحتلال. وقام بجلب الجنود وأمدهم بالسلاح[194].

نقل مصطفى كمال مقر قيادته من سيواس إلى مدينة كافسا، ثم إلى آماسيا - وهى بلدة بعيدة في داخل البلاد، تقع على الطريق الرئيسي الذي يصل بين شرق تركيا وغربها- حتى يتحرر من مراقبة الإنجليز له، لأن ضابط قلم المخابرات الإنجليزي كان يراقب حركاته وسكناته[195]. ولتنفيذ المهمة التي كلفه بها السلطان وحيد الدين، أدرك مصطفى كمال أنه بحاجة إلى معاونة قادة الجيوش المتفرقة. فاستدعى رفعت باشا قائد الفيلق الثالث من سيواس، ودعا على فؤاد باشا قائد الفرقة العشرين المعسكرة في أنقره، كي يقابله في آماسيا. فحضر على فؤادباشا وفي صحبته رؤوف بك،وزير البحرية السابق.

---

193 - بعد ركوب مصطفى كمال السفينة متوجهاً إلى سامسون خرجت شائعة تقول: "إن الإنجليز سوف يوقفون السفينة في البحر ويقبضون عليه". ويقول قدير مصر أوغلي: "أليس كان من الممكن أن يمنع الإنجليز مصطفى كمال من السفر أصلاً بالضغط على السلطان بألا يجعله يسافر؟ أولم يكن من الممكن أن يوقفوا السفينة في نفس اللحظة، قبل الإقلاع ويقبضون عليه، أو إنه لم يكن هناك جنود إنجليز في سامسون وحواليها؟ فلماذا يطاردون السفينة في البحر؟" . انظر Kadir Mısıroğlu, "bir mazlum Padişah, Sultan vahideddin", a.g.e. s.211

194- داجوبيرت فون ميكوش، مصطفى كمال، المثل الأعلى، مرجع سبق ذكره، ص189، 190، 201

195 - الحقيقة إن الإنجليز تشككوا في نوايا مصطفى كمال، فبدأو التحرك منذ اليوم الذي وطأ فيه سامسون، وأرسلوا خطاب إلى وزير الحربية بتوقيع الجنرال ميلن، قائد البحر الأبيض يسألونه عن السبب الفعلي لإرسال مصطفى كمال إلى الأناضول. والرد بتاريخ 24 مايو 1919 الذي بعثته وزارة الحربية على هذا الخطاب، لم يطمئن الإنجليز الذين كانوا يريدون "ضمان التطبيق السريع لأحكام الهدنة". انظر "Harb Tarihi vesikaları Dergisi",a.g.e. vesika nr: 15-20

وطلب من علي فؤاد ان يوافيه يوميا بتقرير عن الوضع في إزمير. واتصل بجعفر طيار، قائد الفرقة الأولى في أدرنة. وأعطاه تعليماته[196].

وأخذ مصطفى كمال يدعو المنظمات الشعبية في تراقيا والأناضول، إلى الاتحاد في مؤتمر عام يُعقد في سيواس - التي تُعتبر مركزاً للأناضول- بعدعقد المؤتمر المحلي في أرضروم[197]. ويدعو جميع الأطراف إلى عقد الاجتماعات والمظاهرات، وإلى خلق جو من الحماس الوطني. وبعد أن جمع حوله الجيش والشعب، وعناصر المقاومة، ووحد الجهود العسكرية والمدنية، بدأ مقاومته لليونانين[198]. **وكان مصطفى كمال يقول في بياناته: "لقد قرر العدو أن يدمر تركيا وطننا، ويمزقها شر ممزق، ويقيم ولاية يونانية حول سامسون. وقد امتلأت جميع قرى الإقليم بوكلاء بطريرك اليونان، وبات السلطان خليفتكم مسلوب الحول والقوة، أسيراً في أيدي الإنجليز، لذلك أرسلني إليكم كي أنقذكم. لكنكم يجب أن تنقذوا أنفسكم بأنفسكم. ولا جدوى في بقائكم مكتوفي الأيدي في انتظار عون من الخارج. وانما السبيل الوحيد إلى إنقاذ وطنكم من الهلاك المحتوم، وحماية زوجاتكم، وبيوتكم من العار والمذلة، هو أن تتطوعوا في صفوف الجيش الوطني الجديد، وتقاوموا العدو بقوة السلاح"**[199]. وفعلاً يُعقد هذا المؤتمر بعد ذلك في 4 سبتمبر 1919[200]. وأمر بأن يكون هذا القرار سراً قومياً، ولذلك فإن قدوم الممثلين إلى سيواس يجب أن يكون فرادى، وبشكل سري. وفي 24 يونيو سافر إلى أرضروم[201].

---

[196] -Şaban İba, "ordu- devlet-siyaset", çiviyazıları,İstanbul,1998.s.58

[197]- في 25 ابريل 1919، قررت جمعية الدفاع عن الولايات الشرقية، عقد مؤتمر في ولاية أرضروم. انعقد هذا المؤتمر في 23 يوليو 1919. وحضر مصطفى كمال بملابسه العسكرية ذات الأشرطة الياورية، لأنه كان ياوراً فخرياً للسلطان، ويحمل رتبة باشا، فلم يكن قد جاءه رد الحكومة على طلب استقالته. وعندما صعد منصة الرئاسة طلب منه الحضور أن يخلع رتبة الباشا. وبعد انتخابه لرئاسة الهيئة التمثيلية، خلع ملابسه العسكرية، وارتدى ملابس مدنية أحضروها له. ودام المؤتمر 14 يوماً، واُتخذت فيه عدة قرارات، وهى : المحافظة على وحدة الدولة. والعمل على عدم انفصال الأرمن عن الدولة العثمانية. والرد بشدة على تجاوزاتهم. ورفض كافة أشكال الاحتلال الأجنبي. وتأسيس الهيئة التمثيلية أو هيئة ممثلي الأمة. ويكون من مهام هذه الهيئة، تشكيل حكومة مؤقتة تتولى مسئولية الدفاع عن الوطن، في حالة عجزحكومة استانبول. وتأسيس تشكيلات الحرس المسلح في جميع الأرجاء. ورفض الوصاية أو الحماية الأجنبية. وتشكيل مجلس الأمة لمراقبة الحكومة. وعندما أُنتخب مصطفى كمال رئيساً للهيئة التمثيلية قال هذا الدعاء: **"ندعو الله المتعال، واجب الوجود بحرمة الحبيب الأكرم، أن يحفظ أمتنا النجيبة، المدافعة عن الوطن المبارك، والحارسة الأمينة للدين الأحمدي الجليل إلى يوم القيامة. وأن يحفظ مقام السلطنة والخلافة الكبرى. وأن يحفظ هيئتنا الملقاه على عاتقها الحفاظ على مقدساتنا. أمين" انظر** Tevfik Bıyıklıoğlu, "Atatürk Anadolu'da", a.g.e. s. 29 ve Falih Rıfkı Atay, "Çankaya", a.g.e. s. 190

[198]- Ardal Aydoğan, "Samsun'dan Erzurum'a Mustafa Kemal", Atatürk Araştırma Merkezi, Ankara 2000, s.33,34

[199] - أرمسترونج، الذئب الأغبر، مرجع سبق ذكره، ص 113- 116

[200] - تقرر عقد مؤتمر سيواس بحيث يكون أشمل وأعم من مؤتمر أرضروم. ولكن هناك من عارض هذا التوسع وعلى رأسهم كاظم قره بكير. كان المعارضون يرون أنه ليس من الصواب إثارة الإنجليز، ودفعهم إلى القيام بعمل مضاد. أي يرون الأفضل الاكتفاء بمؤتمر أرضروم، وترتيب شروط الصلح، وعدم القيام بأعمال قد تعرض الحركة للمخاطر. ولكن مصطفى كمال أصر على انعقاد المؤتمر الذي عُقد في 4 سبتمبر 1919، ولم يحضره سوى خمسة أعضاء من الهيئة التمثيلية، من أصل تسعة أعضاء. وأُنتخب مصطفى كمال رئيساً للمؤتمر. وفي اليوم الرابع للمؤتمر غيروا اسم جمعية الدفاع عن حقوق شرقي الأناضول، إلى جمعية الدفاع عن حقوق الأناضول والروملي. وغيروا المادة التي نصها: "إن الهيئة التمثيلية مثل الهيئة العامة لشرقي الأناضول" إلى "إن الهيئة التمثيلية تمثل

وقد أثار نشاطه هذا، نقمة وزارة الداخلية في استانبول "التي لم تكن على علم بالاتفاق السري بينه وبين السلطان"، فقد كان شرط نجاح مصطفى كمال في هذه المهمة هو أن يبدو معارضاً لحكومة استانبول الواقعة تحت سيطرة قوات الاحتلال، بينما يسعى في الواقع لاستقلال الوطن. فأرسل وزير الداخلية، علي كمال تعليمات إلى جميع الولايات يدعوها إلى الوقوف ضد مصطفى كمال. وعندما وصل مصطفى كمال إلى أرضروم سلمه كاظم قره بكير، برقية مرسلة من رفعت يقول فيها، إن استانبول أصبحت تشك في مصطفى كمال، واتخذت بعض القرارات بخصوصه، وهى إقالته، والبقاء في أرضروم، وعدم الذهاب إلى سيواس. فقد تبين بشكل واضح أنه يدعو الأمة إلى المقاومة. وبينما كان السلطان يخفي فرحه بالنجاح الذي حققه مصطفى كمال، اضطر الباب العالي بضغط من المحتلين، إلى إقالة مصطفى كمال من الجيش. وبينما كانت الحركة الشعبية تشتعل في الأناضول، كان وحيد الدين ينكوي يومياً بشروط معاهدة موندروس. وكانت تُجرى تعديلات في الحكومة التي تعاقبت الواحدة تلو الأخرى في استانبول، نتيجة ضغوط قوات الحلفاء - التي أعلنت في يوم 16 مارس، احتلال استانبول رسمياً- ووضعوا أيديهم على النقاط الحيوية. ولم يتوقفوا عند هذا الحد، بل أخذوا يضغطون على مجلس المبعوثان، فيبقوا على المبعوثين الذين يرغبون فيهم، ويغيرون ويبدلون وفق هواهم. وبسبب ذلك أخذ المبعوثون يفرون إلى الأناضول الواحد تلو الآخر. فطالب الإنجليز - في خطابات بتاريخ 6 يونيو 1919- باستدعاء مصطفى كمال وأركان معيته إلى استانبول في الحال. ولما رفضت وزارة الحربية استدعاء مصطفى كمال، كرر الإنجليز طلبهم في 8 يونيو1919. فاضطرت وزارة الحربية - التي تحت الاحتلال- إلى الرضوخ للأمر الواقع، نظراً لإصرار الإنجليز على رجوعه. ويأتي طرد الباب العالي، لمصطفى كمال من الجيش، في نفس الوقت الذي قدم هو فيه استقالته من السلك العسكري[202]. وانضم إلى مؤتمر أرضروم باعتباره مدنياً، وذلك من ضمن سياسة الخداع التي انتهجها. والواقع أنه برغم دعوته، فإن الإنجليز ووزارة الحربية كانا يعلمان أن مصطفى كمال الموجود في أرضروم، لن يعود إلى استانبول. فالإنجليز كانوا ينتهجون تكتيك إيجابي بهذا الضغط، وهم على يقين أنه لن يأتي بنتيجة أبداً، إلا وقوع مواجهة وخصومة بين حكومة استانبول، والحركة التي في الأناضول[203].

الهيئة العامة للوطن".وانفض المؤتمر في 11 سبتمبر عام 1919، بعد انتخاب هيئة تمثيلية أكثر عدداً من المؤتمر السابق. ولكن الأعضاء ظلوا في سيواس بعد انتهاء المؤتمر. وبعد هذا المؤتمر استقر رأي مصطفى كمال على قطع جميع الصلات بين الأناضول واستانبول. وأخبر جميع الدوائر الرسمية - العسكرية والمدنية- بإنهم مرتبطون بالهيئة التمثيلية الموجودة في سيواس، إلى أن تسقط الحكومة الخائنة، التي أصبحت سداً بين السلطان، وبين الأمة. انظر Falih Rıfkı Atay, "Çankaya", a.g.e.s. 197 و انظر ايضاً، علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة طرابلس العلمية العالمية،1998، ص391 . و انظر ملحق الوثائق ص 297، وثيقة رقم (22) ص 319

[201] -Falih Rıfkı Atay, "Çankaya", a.g.e. s. 189

[202] - مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، الجزء الأول، مرجع سبق ذكره، ص 452 - 457

[203] - Kadir Mısıroğlu, "bir mazlum Padişah , Sultan vahideddin", a.g.e. s. 211

وهناك وثيقة تفيد صراحة أن الإنجليزهم الذين ضغطوا من أجل استدعاء مصطفى كمال، وأن السلطان كان يرى أن هذا الاستدعاء غير مناسب[204].

كما توجد برقية أرسلها مصطفى كمال إلى السلطان، يعترف فيها أن السلطان واقع تحت ضغط الإنجليز، وهو ما اضطره لإصدار قرار عودته. وهناك وثائق أخرى يعترف فيها مصطفى كمال، أن تعيينه جاء من قبل السلطان. ووثائق تفيد أن السلطان أصدر فرمان سلطاني من أجل إعادة النياشين والميداليات التي أُخذت من مصطفى كمال، لأنه لم يتم إقالته بل هو قدم استقالته[205].

رأي السلطان وحيد الدين في مصطفى كمال

أولاً: في بداية التعارف بين وحيد الدين ومصطفى كمال

كان السلطان وحيد الدين يثق في مصطفى كمال، ويستأمنه. وهذه الثقة جاءت منذ مصاحبته في رحلة ألمانيا. ولذلك قام بإرساله إلى الأناضول. والحقيقة لم تكن هذه الثقة في محلها. فلم يكن السلطان يعلم بمحاولته الانقلاب عليه بل والسعى إلى قتله[206].

كان أول لقاء تم بين مصطفى كمال ووحيد الدين في 13 ديسمبر 1917، قبل يومين من رحلة وحيد الدين إلى ألمانيا في 15 ديسمبر، وكان لايزال ولياً للعهد. في تلك الأثناء كان مصطفى كمال عائداً من الجبهة، ومقيماً في فندق (بيرابالاس) عندما جاءه نائب السلطان، أنور باشا لدعوته للقاء السلطان في القصر، حيث كان مقرراً أن يرافق ولي العهد في رحلة ألمانيا[207]. ومنذ بداية الرحلة، حاول مصطفى كمال اتخاذ وضع السيطرة والتحكم في السلطان، حتى أنه تدخل في الملابس التي يلبسها، والتحية التي يلقيها. وخلال زيارته القيادة العليا للجيش الألماني في ألمانيا، بدأ بنقد أسلوب الألمان في إدارة

---

[204]- انظر ملحق الوثائق ص 297، وثيقة رقم (23) ص 320

[205] - Kadir Mısıroğlu, " bir mazlum Padişah, Sultan vahideddin", a.g.e. s. 213,214,
انظر ملحق الوثائق ص 297 ، الوثائق أرقام (24 ، 25) ص 321 ، 322
"Atatürk'le İlgili Arşive Belgeleri" , Ankara 1982, s. 46 -47 ,52,78,81 .

[206]- تناول طارق ممتاز جوزتپه الحديث عن محاولة الانقلاب، ولكنه لم يتطرق إلى مسألة محاولة قتل وحيد الدين. أما صلاح الدين تانسيل فيقول: "إن صحيفة صباح نشرت في تاريخ 26 ديسمبر 1918 تقول، هناك عدة محاولات سرية تهدف لإسقاط حكومة توفيق باشا. وإن مصطفى كمال باشا موجود في قائمة الحكومة التي تجهز هذه المساعي، من أجل ترشيحه لوزارة الحربية. وكذّب مصطفى كمال في اليوم التالي هذا الخبر. لكن الحقيقة أن مصطفى كمال واصدقائه كانوا يرون، إما إسقاط الحكومة، أو أخذ مكان في هذه الحكومة، مثل وزير داخلية أو حربية. ولما رأوا صعوبة تحقيق هذا، فكروا في اللجوء إلى وسيلة أخري. وتم الاستقرار على "إنشاء لجنة ثورية". هذه اللجنة هدفها خلع السلطان، وإسقاط الحكومة، وتأسيس حكومة جديدة. لكن لم تتحقق أي نتيجة من هذا الاقتراح الذي قدمه مصطفى كمال في شيشلي. وقد وردت الإشارة صراحة إلى قتل السلطان وحيد الدين، على لسان فالح رفقي، في كتابه چانكايا حيث قال: "اقتنع مصطفى كمال، وبعض أصدقائه من عدم جدوى قتل وحيد الدين، وإسقاط الحكومة." انظر
Tarık Mümtaz Göztepe, "Osmanlıların Son Padişahı Vahiddeddin, Mütareke Gayyasında", a.g.e. s.97 ve Selahattin Tansel, "Mondros'tan Mudanya'ya Kadar" , a.g.e. s. 77,78 ve Falih Rifki Atay, "Çankaya" , a.g.e. s. 158

[207] - Şükrü Tezer, "Atatürk'ün Hatıra Defteri",Türk Tarih Kurumu Basımevi, Ankara 1972, s. 167

الجيش، مما عرضه لسخرية الإمبراطور والمارشال هندنبرج وامتعاضهما. وفي إحدى الزيارات للجبهة استفهم عن تعبئة الوحدات، ثم صعد على شجرة، وأخذ في الرصد والمراقبة، وانتقد الوضع. وهناك قدم لولي العهد الاقتراح التالي: "عندما ترجع إلى استانبول، اطلب حالاً قيادة إحدى الجيوش، وسأكون أنا رئيس أركان حربك". فقد كان مصطفى كمال يحاول التقرب من ولي العهد، والسيطرة عليه، لكي يكون في المقدمة عندما يتسلم السلطة، فيستطيع الوصول إلى السلطة والجاه. ولكن وحيد الدين كان يتفحصه جيداً دون أن يظهر على وجهه أي تعبير[208].

وكان الانطباع الأول الذي كونه السلطان عن مصطفى كمال أثناء رحلة المانيا، أنه صاحب ذكاء حاد. وشعر أنه محظوظ لأن يكون في رفقته بطل "چناق قلعة". ولكنه اكتشف بعد ذلك أن طمعه وطموحه شديد، حيث سعى إلى الارتباط به ومصاهرته. فقد كان أمل مصطفى كمال هو تحقيق الشهرة والثروة والسيطرة. فقد كان يريد أن يصبح رجلاً عظيماً[209]. وكان كل هدفه أن يصبح صاحب سطوة. وعندما لم يستطع أن ينالها عن طريق الاتحاديين، أراد أن ينالها من السلطان نفسه. وعندما أُتيحت له الفرصة أن يلتقي بوحيد الدين، طلب منه مشاركته حياته، عندما اقترح عليه أن يتولى قيادة الجيش الخامس، ويصبح هو رئيس أركان هذا الجيش. وهو هنا أراد أن يشاركه حياته، ولكن هذه الشراكة استمرت حتى بعد مماتهم. فقد كانت شراكة أساسها، أنه عندما يتحقق لطرف العلا، لابد وأن يختفي الطرف الآخر[210].

كان كل ما يهم مصطفى كمال هو طموحه الشخصي، لذلك لم يهدأ من الحوم حول وحيد الدين بعد توليه العرش، بعد وفاة السلطان محمد رشاد، والاشتراك أحياناً في أداء شعائر العبادة في معيته. فقد كان كل ما يحرص عليه مصطفى كمال أمام هذا التغيير في السلطنة والخلافة، هو شهوة المنصب فقط[211].

ويرى السلطان أن مصطفى كمال كان جريئاً ودائم النقد لغيره. وأنه رجل طموح أشبه بالعاصفة، خطير، لايمكن السيطرة عليه إذا تحقق له النفوذ. لكنه قد يكون ذا نفع

---

[208]- الرجل الصنم ،مرجع سبق ذكره، ص 90 – 91

[209]- تحدث مصطفى كمال نفسه عن أفكاره التي ستوصله إلى هذه العظمة فقال: "إن الرجل لا يسعى لأن يكون عظيماً، بل لابد وأن يكون هو في الأصل رجلاً عظيماً. ويتم اختيار الرجل الذي يقوم بإنقاذ الدولة بناءً على هذه العظمة، ليحقق هذا الإنقاذ. وإن لم يكن الذي تم اختياره عظيماً في الأصل، فلن يتمكن من تحقيق هذا الهدف. فالعظمة هي: ألا تلتفت لأحد، أو تحاول جذب انتباه أحد، لأن العظيم هو الذي يلفت الانتباه. فيبدو أنه هو الوحيد القادر على إنقاذ الدولة. ولتحقيق هذا الهدف سوف تجد من يقف ضدك، ومن يحاول تغيير مسارك، ومن يضع أمامك العراقيل. فإذا لم تكن عظيماً في الأصل، وكنت ضعيفاً وبلا حيلة، فستجد نفسك غير قادر على المقاومة. لكن إذا كنت في الأصل عظيم، فسوف تعمل على تخطي العراقيل، قانعاً بأن أحداً لن يقدم لك المساعدة. بعد ذلك إذا قالوا لك، إنك عظيم، اضحك على قولهم هذا." انظر Murat Bardakçı, "Şahbaba", a.g.e. s.74

[210]- المرجع السابق 74

[211]- عندما سمع مصطفى كمال نبأ وفاة السلطان محمد رشاد قال: "والظاهر إن انفعالاً غير اعتيادي قد اعتراني عندما تلقيت هذا النبأ، لأنني جلبت انتباه ضيوفي. لا أدري هل كنت آسفاً أم كنت فرحاً؟ لا أعرف جيداً. ولكن الحقيقة هو إنني لم اشعر بالأسف على السلطان المتوفي، ولم يهمني أن يكون السلطان الجديد طويل العمر أم قصيره. إذن هل كان انفعالي مرده إنني لم أكن في أثناء هذا التغيير في استانبول؟ لااستطيع أن أقطع بشيء، ولكن المؤكد إنني مررت بنوع من الانفعال. انظر Murat Bardakçı, "Şahbaba", a.g.e. s.75

أحياناً. وقد أحس السلطان بكراهية مصطفى كمال الشديدة لأنور باشا، وزير الحربية، ووكيل القائد الأعلى. فقد ظل طوال الرحلة، دائم النقد له، ويتهمه بأنه يسعى لهدم الأسرة العثمانية[212]. وقد رآه صريحاً وشجاعاً ولايخفي كراهيته للألمان، وأنه كان ينتهز كل فرصة للتقرب منه، وإثبات صداقته له. وبرغم إدراكه لرعونته وانتهازيته ورغبته في تولي المناصب العليا، كان يثق في قدرته على الاضطلاع بالمهام الخطيرة[213].

ثانياً: عند انقلاب مصطفى كمال على وحيد الدين

قبل البداية الجدية للحرب القومية، أرسل السلطان وحيد الدين، صهره الأمير عمر فاروق أفندي إلى الأناضول للاشتراك في حرب التحرير، ولكن مصطفى كمال أمر بعودته إلى استانبول مرة أخرى. فقام بإرسال ولي العهد عبد المجيد أفندي، فأمر بعودته أيضا. فقد كان يريد إبعاد أفراد الأسرة السلطانية عن الأناضول، حتى يستأثر هو بالسلطة. وعندما رأى السلطان أن الأجواء صارت ضده في الأناضول، فكر في الذهاب إلى هناك، بدون أن يلفت نظر الإنجليز لذلك، بناءً على نصيحة عوني باشا. لكن توفيق باشا رأى أن هذا سيؤدي إلى حدوث انقسام بين مؤيدي مصطفى كمال، ومناصري الخلافة، مما يزج بالدولة في حرب أهلية[214].

قال السلطان وحيد الدين عن مصطفى كمال عندما انقلب عليه: "إن مصطفى كمال باشا خان ثقتي فيه[215]، فهو يلعب أدواراً مختلفة في كل زمان. فقد كان يريد أن يبقى هو الرئيس الأوحد للحركة الشعبية كلها، فأخذ يسيء للحكومة المركزية مستنداً على سببين مقدسين وهما، الدفاع عن الدولة، وإنقاذها. ثم بعد ذلك أخذ يثير الشعب ضدي مستخدماً

---

[212]- ظل أنور باشا وزيراً للحربية حتى الهزيمة في الحرب العالمية الأولى، وكان أيضا يحمل لقب نائب القائد الأعلى للقوات التركية، لأن السلطان كان هو القائد الأعلى للقوات التركية، وكان مصطفى كمال يحقد على أنور باشا لأنه كان بنفس سنه، ولكنه كان متقدماً عليه في الرتب إلى درجة لايمكن تخطيها. وعندما سُئل أنور باشا لماذا لا ترقي مصطفى كمال إلى رتبة لواء؟ قال: إنه إذا ترقى إلى رتبة الباشا أي لواء، فإنه سيرغب في أن يكون سلطاناً. وإذا أصبح سلطاناً، فإنه سيرغب في أن يكون إلهاً. وفي هذا دليل على طمعه. انظر الرجل الصنم ، مرجع سبق ذكره، ص 76 ، 90 ، و Falih Rıfkı Atay, "Çankaya" , a.g.e. s. 80

[213] - Murat Bardakçı, "Şahbaba", a.g.e.s.68

[214]- Murat Bardakçi, "Şahbaba", a.g.e s. 441 ve Kadir Mısıroğlu, "Sarıklı Mücahitler", Sebil Yayınevi, İstanbul 1981, s.59-64

[215]- كان مصطفى كمال ذوعزيمه جبارة، لاتضعفها عاطفة أو خُلق أو وفاء. يحاول بلوغ أهدافه بأي ثمن، وأي سلاح، ومهما يطل به الانتظار. لا تأخذه شفقة على أحد، أو توهن من عزيمته عاطفة، أو يمنعه من قراراته إخلاص لإنسان. كان يسخر من جميع المبادئ والمثل العليا الأخلاقية، فقد كانت في نظره، ليست أكثر من غطاء يخفي رياء الناس، وحماقة الحمقى. وكانت سخريته ذكية، قاطعة، لايخفف من حدتها المزاح الملطف للأمور، وتظهرة بمظهر الرجل المجرد من المشاعر الرقيقة، الذي لا يخلص لإنسان، أو لمثل أعلى، أو لنظام مرسوم. شبيه الذئب الكاسر، المجرد من العاطفة، أوالخلق، او المبادئ السامية، أو السلوك القويم، أو أي شيء غير شهواته." انظر هـ . ارمسترونج ، مرجع سبق ذكره، ص 182

كافة أنواع الدعاية. وسعى لتجريد حكومة استانبول من جميع وسائل، وعناصر الدفاع الخاصة بها. وبلغ به الأمر أن يقول، إنني أحصل على نقود من الأجانب"[216].

ويعتبر السلطان، مصطفى كمال مسئولاً عن عقد هدنة موندروس، التي كانت سبب الكوارث التي عانت منها الدولة بعد ذلك. فقد اضطرت الدولة إلى عقدها بعد إخفاقه في مهمة الدفاع عن الجبهة السورية. تلك المهمة التي كلفه بها السلطان خلال الحرب العالمية الأولى. فقد قام بالانسحاب من هذه الجبهة ولم يدخل في أية معركة ضد الحلفاء. وكان انسحابه بجيشه إلى جبال طوروس، سبباً في ضياع بلاد الشام، ووقوع جزء كبير من الجيش العثماني في الأسر. وهو أيضا لم يعترض على توقيع هذه الهدنة، برغم قوته العسكرية، إذ كان في ذلك الوقت، قائداً للجيش السابع[217].

---

[216]- Murat Bardakçı, "Şahbaba", a.g.e.s .175

[217]- خلال الحرب العالمية الأولى، كلف السلطان وحيد الدين - بعد توليه العرش- مصطفى كمال بمهمة الدفاع عن الجبهة السورية، وأوصاه بالعمل على ألا تقع هذه الجبهة في يد الحلفاء. وعندما وصل مصطفى كمال إلى الجبهة السورية، كانت القوات العثمانية تستعد لمواجهة هجوم بريطاني وشيك. تسلم مصطفى كمال قيادة الجيش السابع، وسيطر على القطاع الأوسط من خط الدفاع العثماني. وكان الجيش الثامن عن يمينه ومعه الفرقة الثانية والعشرون، والجيش الرابع عن يساره، يحمي سكة حديد الحجاز. وفي 19 اغسطس وقع الهجوم الإنجليزي، وهزموا الجيشين، وحاصروا الأتراك، وحالوا دون انسحابهم إلى الخلف. فانسحب مصطفى كمال إلى دمشق. وأمره ليمان فون ساندرز، القائد الألماني للجبهة السورية، بأن ينشئ خطاً دفاعياً جديداً. ولكن مصطفى كمال قرر الانسحاب إلى شمال حلب، وعرض هذا الأمر على القائد الألماني، الذي رفض تحمل مسئولية هذا القرار، الذي يؤدي إلى وقوع جزء كبير من الدولة العثمانية في يد الإنجليز، بدون إبداء أية مقاومة تُذكر. ولكن مصطفى كمال أبدى استعداده لتحمل المسئولية، وأصدر أمره بالانسحاب إلى شمال حلب، مما أدي إلى استيلاء الإنجليز على دمشق، بدون أية مقاومة من جانب القوات العثمانية التي تحت قيادته. لمزيد من التفاصيل، انظر ماجدة مخلوف ،بيان السلطان محمد وحيد الدين،آخر السلاطين العثمانيين، مجلة المنار الجديد، مرجع سبق ذكره، ص 128

وكان السلطان يقول عن مصطفى كمال، إنه مجهول الأصل، ثوري مقدوني، ويشبه الصرب إلى حد كبير. خلال الحرب اليونانية أعلن أتاتورك عصيانه ضدي وضد السلطنة والدولة، وعمل على تنفير الأتراك من الأسرة العثمانية[218]. وتجاوز حدوده، وارتكب في الأناضول أعمالاً وحشية، من قتل وصلب. وأنشأ محاكم الاستقلال التي أصدرت أحكام الإعدام على الذين يعترضون على إجراءاته. وكان عنيفاً في قمع الثورات، إذ أعدم في ثورة قونية المئات من مؤيدي السلطنة[219]. فهو ومن التفوا حوله ما هم إلا بلاشفة، ويعتمدون كثيراً على مساعدة البلاشفة لهم[220].

[218]- داجوبيرت فون ميكوش، مصطفى كمال، المثل الأعلى، مرجع سبق ذكره، ص 183

[219]- ماجدة مخلوف، بيان السلطان محمد وحيد الدين،آخر السلاطين العثمانيين، مجلة المنار الجديد ،مرجع سبق ذكره، ص129

[220]- كان مصطفى كمال - منذ وصوله إلى الأناضول، عام 1919- يتطلع إلى التفاهم مع السوفييت، للحصول على مساعدتهم، ولتهديد الحلفاء. وكانت روسيا تساند الثورة التركية، وتساعد الأتراك، لأنها كانت ترى أن تركيا ذات أهمية استراتيجية لها، أمام أي تدخل للحلفاء. وبعد مؤتمر سيواس، أرسل مصطفى كمال مبعوثاً غير رسمياً إلى روسيا، للحصول على مساعدات منها للثوار الأتراك. وأمدته روسيا بالفعل بالمساعدات في بداية عام 1920. وسبب إسراع روسيا إلى مساعدته، إعلان الحلفاء معاهدة سيفر، بعد احتلالهم استانبول. وبعد تشكيل المجلس الوطني التركي الكبير في 23 ابريل 1920، عمل مصطفى كمال على تدعيم علاقاته بروسيا. فأرسل بعثة رسمية إلى موسكو برئاسة بكير سامي، وزير الخارجية. كما أرسل مذكرة إلى لينين، يدعوه إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع تركيا، ومساندتها ضد الحلفاء. وتلقى مصطفى كمال من وزير الخارجية الروسي، خطاباً يعترف فيه بالميثاق الوطني، ويعده بإقامة علاقات دبلوماسية، والتعاون العسكري مع تركيا. ولكن بعد أن حصل مصطفى كمال على المساعدة من الروس، انقلب عليهم، لأن وزير خارجية روسيا طلب منه أن تتنازل تركيا عن إقليمي خان وبتليس لأرمينيا. فأمر كاظم قره بكير بأن يتوجه بجيشه الذي في الشرق إلى أرمينيا، ويسترد قارص وأردخان وباطوم. انظر Kinross Belfour Patrick, "Ataturk ,The Rebirth of A Nation",Weidenfield and Nicolson, London 1964, p.240-243

- يرى بعض الأتراك أن الانقلابات التي جاءت بها الكمالية، مأخوذة كلها من الشيوعية، وقد كان مصطفى كمال ينوي تسمية الدولة بعد إعلان الجمهورية (خلق جمهوريتي) أي جمهورية الشعب. ولكنه عدل عن ذلك. انظر Niyazi Berkes, "Türkiyede çağdaşma", Doğu-Batı yayınları, İstsnbul 1978, s.617